



الدعاة الإخبارية



جريدة صوت

www.doaah.com

www.youtube.com/doaahNews1

صوت الدعاة

رئيس التحرير د/ أحمد رمضان

مدير الجريدة أ/ محمد القطاوى

8 أبريل 2022 م

7 رمضان 1443 هـ

خطبة بعنوان "الجوانب الإيمانية والأخلاقية في الصوم"

عناصرُ الخطبة:

- (1) مراقبةُ الله في السرِّ والعلنِ .
- (2) تغييرُ النفسِ والسلوكِ إلى الأفضلِ والأحسنِ .
- (3) تربيةُ المسلمِ على الإحساسِ بالآخرينَ ومواساتهمِ .
- (4) التدريبُ على الصبرِ، وضبطِ النفسِ .
- (5) الصومُ يفيدُ الصحةَ العامةَ ويجددُ الطاقةَ والحيويةَ للجسمِ .
- (6) التدريبُ على الدقةِ والنظامِ واحترامِ المواعيدِ .

الحمدُ لله حمدًا يُوافي نعمه، ويُكافئُ مزيده، لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهك، ولعظيمِ سلطانِكَ،
والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ على سيدنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمَّا بعدُ ،،،

لقد شرعَ الصيامُ لمقاصدَ عاليةٍ، وأحكامٍ ساميةٍ، حيثُ لم يقفِ الشارعُ الحكيمُ عندَ مظاهرِ الصومِ من الامتناعِ عن شهوتي البطنِ والفرجِ فحسب ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، بل عمَدَ إلى سموِّ الروحِ، ورُقِّي النفسِ وحفظها، وتزكيةِ الجوارحِ والصعودِ بها من الدركِ الماديِّ إلى آفاقِ سموِّ الروحي، لينعمَ الصائمُ بصفاتِ أهلِ البرِّ والإحسانِ، ويسعدَ بالفوزِ بالجنانِ، والدخولِ من بابِ الريانِ، والنظرِ إلى الرحمنِ، ومرافقةِ سيدِ الأنامِ، وجماعِ مقاصدِ الصومِ أشارَ إليها ربُّنا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فتحقيقُ تقوى الله ومراقبتهِ في السرِّ والعلانيةِ هي الغايةُ الأساسيةُ التي انطوى عليها فرضيةُ الصومِ، إذ المسلمُ يتركُ شهوتهُ وطعامهُ وشرابهُ من أجلِ خالقه وهو سرٌّ لا يطلعُ عليه سواه، والعبادُ

قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك ذلك من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشرٌ فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ، بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي» (ابن حبان)، ولذا يجب أن تكون حاضرة مع المسلم مطبقة في حياته ومع أهل بيته وجيرانه وفي عمله وتجارته، وقد خص جبريل عليه السلام مقام المراقبة بالسؤال في حديثه الطويل بعد سؤاله عن الإسلام والإيمان فعن أبي هريرة، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (متفق عليه) .

فما أحوج واقعنا المعاصر إلى تلك المراقبة التي توقظ الضمير الإنساني، وتبعث في النفس الاستجابة للنداء الرباني فلا يقدم المسلم على عملٍ إلا وهو مستشعرٌ أن الله مطلعٌ عليه يرى عمله، ويعلم ما تكنه نفسه عن أبي ذرٍ قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (الترمذي وحسنه) .

ومن الجوانب الإيمانية التي تبعثها مدرسة الصيام أنه فرصة للتغير إلى الأفضل والأحسن، فمن كان مفراطاً أو مقصرًا في طاعة فعلية أن يستدرك ما فاتته، إذ العبادة في هذا الشهر الكريم ليس كغيره من الأشهر فعن سلمان الفارسي قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخُصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يَزْدَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِثْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ» (ابن خزيمة)، ومن كان على استقامة فليستكثر، ويسأل الله الثبات والدوام، أما أن ينقض رمضان والمسلم على حاله كما كان قبله فهو على خطرٍ عظيمٍ،

وعليه أن يقف مع نفسه وقفهً يراجع فيها حساباته، ويللم أوراقه قبل أن يأتي عليه وقت يندم على ما فرط وقصر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

ومن الجوانب الأخلاقية التي انطوى عليها الصيام إحلال قيم التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع، حتى يدرك الأغنياء ما يعانیه إخوانهم الفقراء والمحرمون الذين يذوقون ويلات الفقر، ومرارة الحرمان، وألم الجوع طول العام، فيوجب ذلك تنبيهها وحثاً لهم على مواساتهم والإحسان إليهم، وقد «رُوي أن يوسف - عليه السلام - قيل له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجوع» (الموطأ)، ورحم الله الإمام القسطلاني حين كتب: «وإنما يجد ذوق التعب من نازله، ويعرف قدر الضرر من واصله، وفي مثل ذلك» قيل:

لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
لَا تَعْذِلُ الْمُشْتَقَّ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّىٰ تَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْسَائِهِ

ولهذا حث نبينا صلى الله عليه وسلم على التكافل والبذل والعطاء بين الجميع دون تمييز من أجل إدخال الفرح والسرور على الآخرين، وليس في رمضان فحسب فعن النعمان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَىٰ» (مسلم)، بهذا يصبح المجتمع قوياً متماسكاً صامداً لا تزعزعه الفتن ولا تخلخله الأزمات ولا تؤثر فيه الضربات التي توجه له من هنا أو هناك.

ومن أهم الجوانب الأخلاقية التي اشتمل عليها الصوم تزكية النفس وتعويدها على الصبر فالصوم تأثير كبير في دفع الشهوات، وكسر حدتها، ولذا وصى به نبينا صلى الله عليه وسلم الشباب الذي لا يجد مؤونة الزواج فعن عبد الله قال: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (متفق عليه)، ويقول الإمام ابن الهمام -أحد فقهاء الحنفية- في فوائد الصوم: «شَرَعَهُ سُبْحَانَهُ لِفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ: سُكُونِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَكَسْرِ سَوْرَتِهَا فِي الْفُضُولِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ مِنَ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْأُذُنِ وَالْفَرْجِ، فَإِنَّ بِهِ تَضَعُفُ حَرَكَتِهَا فِي مَحْسُوسَاتِهَا، وَلِذَا قِيلَ: إِذَا جَاعَتِ النَّفْسُ شَبِعَتْ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ وَإِذَا شَبِعَتْ جَاعَتْ كُلُّهَا أ.هـ.» (فتح القدير).

إِنَّ الصِّيَامَ يَدْرِبُ الْمُسْلِمَ عَلَى الصَّبْرِ، وَضَبْطِ النَّفْسِ عَنِ النَّظَرِ أَوْ التَّطَلُّعِ إِلَى الْحَرَامِ أَوْ التَّكَلُّمِ بِمَا لَا يُرِضِي اللَّهَ فَهُوَ أَشْبَهُ بِالسَّاتِرِ الَّذِي يَقِي صَاحِبَهُ مِمَّا يَضُرُّهُ وَيُؤْذِيهِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَزِفْتُ يَوْمِيذٍ وَلَا يَسْخَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُكَلِّمْ: إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ» (متفق عليه)، فالصومُ قد اشتمل على أنواعِ الصبرِ الثلاثة: الصبرُ على الطاعةِ وعلى المعصيةِ وعلى قدرِ الله المتمثلِ في الجوعِ والعطشِ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ» (أحمد)، ولذا كان حظُّ الذي يُرَخِي لِنَفْسِهِ العنانَ، ويطلقُ لِنَظَرِهِ وجوارحه اللجامَ فتتناولُ ما حرمَ اللهُ أَنَّهُ ليسَ من صيامِهِ إِلَّا الجوعُ والعطشُ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ» (أحمد بسند حسن) .

وَمِنَ الْجَوَانِبِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي تَبْعُثُ الطَّمَأِينَةَ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ أَثْبَتَ أَنَّ الصِّيَامَ يَحْفَظُ الصِّحَّةَ الْعَامَّةَ لِلْجِسْمِ، وَيُنَشِّطُ مَزَاجَ الْإِنْسَانِ، حَيْثُ يُعْطَى إِجَازَةً لِلْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ يَسْتَرِيحُ فِيهَا مِنَ الْإِمْتَلَاءِ وَالتَّفْرِغِ فَيَحْصُلُ لَهُ اسْتِجْمَامٌ وَرَاحَةٌ يَسْتَعِيدُ بِهَا قُوَّتَهُ وَوُضُوعَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعْدَةَ بَيْتَ الدَّاءِ، وَالْحَمِيَّةَ رَأْسَ الدَّاءِ، كَمَا قَالَ طَبِيبُ الْعَرَبِ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ، فَالصَّوْمُ يَقِي مِنَ امْرَأَةِ الْمَعْدَةِ، وَزِيَادَةَ الْوِزْنِ وَالذَّهُونِ، وَالضَّغْطِ، وَالسُّكْرِيِّ، وَالتَّهَابِ الْمَفَاصِلِ، وَلِذَا فَإِنَّ بَقْرَاطَ الْمَلْقَبُ بِأَبِي الطَّبِّ الْيُونَانِي قَدْ اسْتَعْمَلَ الصَّوْمَ كَعِلَاجٍ خِلَالَ الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنَ الْمَرَضِ، وَكَانَ يَصِفُ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الصَّوْمِ تَتَنَاسَبُ مَعَ الْمَرَضِ الَّذِي يَصَابُ بِهِ الشَّخْصُ، وَقَدْ أُجْرِيَتْ عِدَّةُ تَجَارِبٍ عَلَى بَعْضِ الطَّلَابِ أَثْبَتَتْ أَنَّ الصَّوْمَ يَزِيدُ فِي قُدْرَةِ هَوْلَاءِ الطَّلَابِ الذِّكَايَةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، وَيَجْعَلُهُمْ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى اسْتِيعَابِ دُرُوسِهِمْ وَحَفْظِهَا؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَتِيحُ لِلْجِسْمِ أَنْ يَطْرَحَ كُلَّ السَّمُومِ الْمُتْرَاكِمَةِ، فَيَصْبُحُ الدَّمُ نَقِيًّا، وَيَتَغَذَّى بِهِ الدِّمَاغُ بِطَرِيقَةٍ أَفْضَلِ، يَقُولُ الدِّكْتُورُ (نِيكُولَاي): «إِنَّهُ مِنَ الْمَهْمِ أَنْ نَطْلُبَ مِنَ الْمَرِيضِ أَنْ يَصُومَ وَيَخْسَرَ بَعْضًا مِنْ وَزْنِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الشِّفَاءِ التَّامِّ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ، نَمَلَأَ بَطْنَهُ بِالْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْغِذَاءِ»، بَلْ إِنَّ الدِّكْتُورَ (وولف بايير) الْأَلْمَانِي وَضَعَ كِتَابًا عُنْوَانُهُ: (العلاجُ بالصَّوْمِ علاجُ المعجزاتِ)، «وَأَكَّدَ أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ الْوَسِطَةُ الْأَكْثَرُ فَعَالِيَةً مِنْ أَجْلِ الْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ الْأَمْرَاضِ، وَسَاوَى أَهْمِيَّةِ الصَّوْمِ بِأَهْمِيَّةِ

الجراحة»، ولا ريب أن ذلك يوضح عظمة الخالق سبحانه في أنه ما شرع لنا إلا ما فيه الخير والنفع وبقنا على حكمة ذلك أم جهلنا الوصول إلى موطن القصد.

ومن أعظم الجوانب الأخلاقية للصوم أنه يدرّب المسلم على الدقة والنظام واحترام المواعيد، فالمسلمون يمسون عن الطعام والشراب والشهوة في وقت واحد - حسب التوقيت - ويفطرون في ميعاد واحد بلا تقديم أو تأخير، وهذا من شأنه أن يربي المسلم على الدقة والالتزام واحترام العهود فعن ابن عمر قال: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَدَّنَانِ بِلَالٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بِلَالَ يُؤَدِّنُ بَلِيلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَدِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا» (مسلم) ، فتأمل والتزم .

نسأل الله أن يجعل بلدنا مصرَ سقاءَ رخاء، أماناً أماناً، سلماً سلاماً وسائر بلاد العالمين، وأن يوفق ولاية أمورنا لما فيه نفع البلاد والعباد .

كتبه: د / محروس رمضان حفظي عبد العال

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

جريدة صوت الدعوة

www.doaah.com

رئيس التحرير / د/ أحمد رمضان

مدير الجريدة / أ/ محمد القطاوى